الصمت ومتعلقاته وفق المنظور الإسلامي

إعداد

د. خالد عامر عبيد إبراهيم الشوبكة

تدريسي

جامعة الأنبار - كلية العلوم الإسلامية - رمادي

isl.ka1978@uoanbar.edu.iq

issn : 2071- 6028

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص بحث

تناول البحث بيان مفهوم الصمت وما يتعلق به من مسائل وفق المنظور الإسلامي، من النصوص الشرعية ، والتمييز بين الممدوح من المذموم، وبيان ضوابطه وفوائده والوسائل المعينة على اكتسابه ،وموقف علماء المسلمين منه ، وعلاقة الصمت والكلام بالكتابة ومواقع التواصل الاجتماعي في الانترنت.

وللصمت ضوابط شرعية وآداب دعا إليها الدين الإسلامي، ومن يريد أن يتحلى بهذه الفضيلة لا بد له أن يلتزم بتلك الضوابط ، وان لا يكون صمته او كلامه تبعا لهوى النفس، وطول الصمت الا من خير، يعد من الشمائل التي يتحلى بها نبينا محمد (ﷺ) والفضائل التي كان يتصف بها كثير من الصحابة –رضوان الله عليهم– والعلماء الصالحين ، وهي فضيلة من فضائل الأخلاق الإسلامية.

الكلمات المفتاحية : صمت ، متعلقات ، منظور

Search Summary

(silence and appurtenances in accordance with Islamic perspective)

The research statement the concept of silence and related matters in accordance with the Islamic perspective, from religious texts, and the distinction between Mamdouh of blameworthy, and the statement of its controls and the its benefits and Aids manipulated to acquisition, and the position of Muslim Scholars of it, Relationship of silence and speech writing and social networking sites in the internet

And the silence the legitimacy of controls and ethics called for by the Islamic religion, and wants to possess this virtue, he must abide by these regulations, and not to be his silence or his words, depending on the whim of self, and the length of silence, but of the best, one of the merits displayed by our Prophet Muhammad (Peace be upon him) and the virtues which was characterized by many of the Companions of God - Ali bin them- righteous and scientists, which is a virtue of the virtues of Islamic morality.

Keyword : Silence , belongings , perspective

المقدمـــــــــــــة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد

فاللسان نعمة من نعم الله في خلقه ، صغير في حجمه عظيم في إثمه وأجره ، إذ لا يستبين الكفر أو الإيمان ، إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة او العصيان، له في الخير ميدان كبير ، وفي الشر منزلق خطير، ولا ينجو من خطر اللسان إلا من قيّده بضوابط الإسلام، المتعلقة بالصمت والكلام

وفضيلة الصمت عن الكلام إلا من خير، تعد من الفضائل الكريمة والأخلاق القويمة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، ولأهمية هذه الفضيلة في الإسلام، قمت وبعد الاتكال على الله ببحث هذا الموضوع بعنوان : (**الصمت ومتعلقاته وفق المنظور الإسلامي)**

والهدف من الدراسة وحدود البحث: فإنها تهدف إلى بيان مفهوم الصمت وما يتعلق به وفق المنظور الإسلامي، من النصوص الشرعية ، والتمييز بين الممدوح من المذموم، وبيان ضوابطه وفوائده والوسائل المعينة على اكتسابه ،وموقف علماء المسلمين منه ،وبعض صوره المعاصرة .

وأما منهج البحث فهو يشتمل على النقاط الآتية:

١- دراسة الموضوع وفق المنهج الإسلامي ، والاعتماد على النصوص الشرعية وأحوال العلماء وأقوالهم، برؤية إسلامية دعوية.

٢- اقتصرت الدراسة في البحث على الصمت وما يتعلق به، ولم تستهدف الدراسة ما يترتب على ترك الصمت من آفات اللسان نحو الغيبة والنميمة وغيرهما ؛ لان هذا خارج الموضوع الرئيس للبحث؛ وأيضا فهذه الآفات كثيرة جدا ومجال البحث فيها واسع ، ولا يمكن جمعها في بحث واحد ، لذا اكتفيت بذكرها والإشارة إلى مظانها.

٣- عندما ذكرت في العنوان (الصمت ومتعلقاته) انما أردت ما يتعلق به من الأقسام والأحكام والضوابط والفوائد وغيرها .

٤- نظرا لكثرة الأعلام الذين ورد ذكر أسمائهم في البحث وتجنبا للإطالة ، تركت ترجمة الأعلام واكتفيت بذكر الاسم وتاريخ الوفاة في الحاشية اذا كنت قد نقلت من كتابه ، في أول ورود لاسم المصدر في البحث.

وأما عن خطة البحث: فقد قسمت البحث بعد هذه المقدمة على خمسة مباحث وخاتمة ،على النحو الآتي:

المبحث الأول: كان بعنوان (مفهوم الصمت والألفاظ ذات الصلة) ، وفيه مطلبان : المطلب الأول : مفهوم الصمت لغة واصطلاحا ، والمطلب الثاني: بعض الألفاظ ذات الصلة بموضوع البحث.

والمبحث الثاني: بعنوان (النصوص الشرعية المتعلقة بالصمت ، والمفاضلة بينه وبين الكلام) وفيه أربعة مطالب،المطلب الأول: الترغيب والحث على الصمت وترك فضول الكلام في القرآن الكريم، والمطلب الثاني: الصمت وما يدل عليه في السنة النبوية، والمطلب الثالث: الصمت وما يتعلق به في الآثار وأقوال السلف والعلماء، والمطلب الرابع: المفاضلة بين الصمت والكلام

وأما المبحث الثالث: فقد ذكرت فيه (أقسام الصمت، وعلاقته بالكتابة ومواقع التواصل الاجتماعي في الانترنت)وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول: الصمت المحمود، والمطلب الثاني: الصمت المذموم، والمطلب الثالث: الصمت وعلاقته بالكتابة ، ومواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت.

والمبحث الرابع وضّحت فيه (ضوابط الصمت، وفوائده) وفيه مطلبان ،المطلب الأول: ضوابط الصمت وآدابه، والمطلب الثاني: فوائد الصمت وآثاره.

وأما المبحث الخامس، كان بعنوان:(الآليات المعينة على اكتساب فضيلة الصمت، ونماذج منه) وفيه مطلبان:المطلب الأول: الآليات المعينة على اكتساب فضيلة الصمت، والمطلب الثاني: نماذج من الصمت، ذكرت فيه: هَدْي الرسول محمد (ﷺ) في الصمت وقلّة الكلام إلا من حاجة، ونماذج من صمت الصحابة، ونماذج من صمت العلماء والفقهاء والحكماء .

وأما الخاتمة: ذكرت فيها الخلاصة وابرز النتائج التي توصلّت إليها

هذه أبرز المسائل التي أردت أن أشير إليها في هذه المقدمة ، وأسال الله أن يوفقني في هذا العمل ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ....إنه سميع مجيب

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلّم

المبحث الأول

مفهوم الصمت والألفاظ ذات الصلة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مفهوم الصمت لغة واصطلاحا :

لمعرفة مفهوم الصمت، نذكر أولا معنى الصمت لغة واصطلاحا، بعدها نذكر مقارنة بين الصمت والسكوت بعد تعريف الأخير؛ لتنكشف معاني الصمت على نحو أوضح.

أولا : الصمت لغة :

الصمت : مصدر صَمَت يَصْمت صَمتْا، الصاد والميم والتاء أصل واحد يدل على إبهام وإغلاق، من ذلك صمت الرجل إذا سكت ، يقال : صمتَ يصمتُ صمْتَا وصموتا وصُماتا لم ينطق، و(الصامت) الساكت وما لا نطق له ، والصّمتة هي الاسم من: صمت، وقيل: الصَّمْتُ المصدر وما سِوى ذلك فهو اسْمٌ.

ويقال للناطق وغير الناطق – من الجمادات – صامت، ولا يقال ساكت إلا للناطق، فيقال: مالُه صامت ولا ناطق، فالصّامت:الذّهب والفضّة، والنّاطق: الإبل والغنم والخيل، والصّامت من اللّبن: الخاثر، لأنّه إذا كان كذلك فأفرغ فى إناء لم يسمع له صوت. [1]

ووردت في القران الكريم لفظة واحدة مشتقة من الصمت وهي لفظة (صامتون) في قوله تعالى: **(وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ)** [2]

والآية جاءت في معرض الكلام عن المشركين وعبادتهم للأصنام ، قال ابن عباس: ({أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} ساكتون فَإِنَّهُم لَا يجيبونكم بِالتَّوْحِيدِ يَعْنِي الْكفَّار) [3]

([1]) ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م : (٣٠٨/٣)، ولسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ:(٥٤/٢)، والمعجم الوسيط، تاليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مراجعة :إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة : (٥٢٢/١).

([2]) سورة الاعراف ، الآية : ١٩٣

([3]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، المنسوب الى عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ) ،جمعه: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ،دار الكتب العلمية – لبنان : (١٤٣)

ثانيا : الصمت اصطلاحا :

معنى الصمت في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن معناه اللغوي ، وهو يشترك معه في دلالته على السكوت وعدم النطق .

قال الكفوي (والصمت إمساك عن قوله الباطل دون الحق) [١]

وهذا التعريف يخص الصمت الحسن ولا يشمل الصمت بصورة عامة ، لان الصمت ينقسم الى محمود ومذموم ، كما سنذكره لاحقا.

ويتضح معنى الصمت أكثر؛ ببيان معنى السكوت ومقارنته بالصمت :

ثالثا : معنى السكوت والفرق بينه وبين الصمت:

السكوت : (هو ترك التكلم مع القدرة عليه) [٢]

ويتحدث الكفوي عن الفرق بين السكوت والصمت قائلا : (السكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت، فإن القدرة على التكلم غير معتبرة فيه، ومن ضم شفتيه آنا يكون ساكتا ولا يكون صامتا، إلا إذا طالت مدة الضم) [٣]

قَالَ الرَّاغِبُ:(الصَّمْتُ أَبْلَغُ مِنَ السُّكُوتِ)[٤] وعلل الهروي ذلك بقوله : (لِأَنَّهُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا لَا قُوَّةَ لَهُ لِلنُّطْقِ وَفِيمَا لَهُ قُوَّةُ النُّطْقِ؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِمَا لَا نُطْقَ لَهُ الصَّامِتُ وَالْمُصْمَتُ، وَالسُّكُوتُ يُقَالُ لِمَا لَهُ نُطْقٌ فَيَتْرُكُ اسْتِعْمَالَهُ.) [٥]

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. : (٥٠٩)

(٢) التعريفات ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م : (١٢٠)

(٣) الكليات . لأبي البقاء الكفوي :(٥٠٩)

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ،المتوفى: ٥٠٢هـ)،تحقيق: صفوان عدنان الداودي،،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،ط١، ١٤١٢ هـ : (٤١٦)

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م : (٣٠٨٣/٧)

ونستنتج مما سبق ،ان الفرق بين الصمت والسكوت يكون من وجوه :

١- السّكوت مختص بترك التّكلّم مع القدرة عليه، وفي هذا القيد الأخير يفارق الصّمت؛ فإنّ القدرة على التّكلّم غير معتبرة فيه، من حيث الإطلاق اللفظي ، كما يقال المال الصامت على الذهب والفضة ولا يقال مال ساكت .

٢- الصّمت يراعى فيه الطّول النّسبيّ، فمن ضمّ شفتيه لوقت قصير يكون ساكتا ولا يكون صامتا، إلّا إذا طالت مدّة الضّمّ.

المطلب الثاني

بعض الألفاظ ذات الصلة بموضوع البحث

توجد ألفاظ على صلة كبيرة بموضوع البحث، منها ما يتعلق بالصمت مثل لفظ (السكوت – وقد سبق بيانه –والإنصات والإصاخة)، ومنها ما يتعلق بموضوع البحث على نحو عام مثل لفظ (الكلام والنطق) ، وارى من الفائدة بيان معانيها ومدلولاتها ، وهي :

١- الإنصات: هو (الاستماع إلى الصوت مع ترك الكلام) [١]

فالإِنْصَاتُ هو السُّكُوتُ والاسْتِمَاعُ للحَدِيثِ [٢] ،قال تعالى:{ **وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** } [٣]

٢- الإصاخة:(وهو الاستماع إلى ما يصعب إدراكه كالسِر، والصوت من المكان البعيد) [٤]

([١]) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، تحقيق : د. محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق، ط١٠،١٤١٠هـ : (٩٨)

([٢]) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)،تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت،ط١، ١٤١٦ هـ : (٥٣٧/٤) ، وتاج العروس من جواهر القاموس،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ،مجموعة من المحققين، دار الهداية :(١٢٢/٥)

([٣])سورة الأعراف ،الآية:٢٠٤

([٤]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:(٤/ ٥٣٧)

واستعماله بهذه الدلالة من قبيل المجاز، قال مرتضى الزبيدي: (ومن المجاز : أَصاخَ فُلانٌ على حقِّ فُلانٍ : سكَتَ عليه أَن يذهَبَ به) [١]

والإنصات والسكوت والإصاخة :هذه الألفاظ تستعمل في ترك الكلام ، والصمت أعمها. [٢]

٣- **الكلام**: معناه (إظهار ما في الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك، بنحو من إنحاء الإظهار)[٣]

قال الراغب:(الكلمُ:التأثير المدرك بإحدى الحاسّتين، فَالْكَلَامُ: مدرك بحاسّة السّمع،والْكَلمُ: بحاسّة البصر... فَالْكَلَامُ يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة) [٤]

٤- النطق : هو الأصواتُ المقَطّعة التي يُظْهِرُها اللسّانُ وتَعِيهَا الآذان، وعند ذكر النَّاطِقُ والصَّامِتُ، فيراد بالناطق ما له صوت، وبالصامت ما ليس له صوت، فالنّطقُ لفظٌ مشتركٌ عندهم بين القوَّة الإنسانيَّة التي يكون بها الكلامُ، وبين الكلامِ المبرز بالصَّوْت. [٥]

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: (٧/ ٢٩٦)

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٤/ ٥٣٧)

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: (٦٠٧)

(٤) المفردات في غريب القرآن: (٧٢٢)

(٥) ينظر : المفردات في غريب القرآن: (٨١١) ، والتعاريف (٧٠١)

المبحث الثاني

النصوص الشرعية المتعلقة بالصمت ، والمفاضلة بينه وبين الكلام

تتضح أهمية الصمت الحسن وترك فضول الكلام وحفظ اللسان، عن طريق النصوص الشرعية التي وردت بهذا الشأن، فالدين الإسلامي حثّ على التحلّي بهذه الفضيلة، وفي هذا المبحث سنذكر بعض ما ورد في الصمت أو ما يدل عليه من نصوص القران الكريم والسنة النبوية وأقوال للعلماء ، بعدها نذكر المفاضلة بين الصمت والكلام.

المطلب الأول

الترغيب والحث على الصمت وترك فضول الكلام في القرآن الكريم

وردت في القران الكريم آيات تتحدث عمّا يتعلق بالصمت ويدل عليه ، من الحث على اجتناب اللغو وترك فضول الكلام، واستحضار المراقبة الإلهية ونحو ذلك، نذكر نماذج منها :

١- قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [١]

وجه دلالة الآية وعلاقتها بالبحث: تحدثت الآية عن صفات المؤمنين، ومن تلك الصفات: الإعراض عن اللغو وفضول القول والفعل، واللغو: هو مالا فائدة منه في الأفعال والأقوال، ويتحقق الإعْراض عن اللغو بالتزام الصمت.

قال الجصاص عند تفسيره الآية: (واللغو: هو الفعل الذي لا فائدة فيه ، وما كان هذا وصفه من القول والفعل، فهو محظور) [٢]

---

(١)سورة المؤمنون ، الآيات :١-٣

(٢) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ،تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م : (٣/٣٣٠)

وقال السعدي:({ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ} وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة ... وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه-إلا في الخير- كان مالكا لأمره)[١]

٢- قوله تعالى: { وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } [٢]

وجه دلالة الآية وعلاقتها بالبحث: تشترك الآية في الدلالة على الصمت وترك فضول الكلام مع الآية السابقة ، وأن من صفات المؤمنين أنهم لا يقفون عند اللغو.

قال الطبري: (إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما، واللغو في كلام العرب : هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح) [٣]

وقال السعدي: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ: وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم ، مَرُّوا كِرَامًا أي: نزهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم عنه وفي قوله: وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه) [٤]

٣- قَوله تعالى: { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [٥]

وجه دلالة الآية وعلاقتها بالبحث: دلّت الآية على إن كل ما يتلفظ به الإنسان من كلام فهو مسؤول عنه ومكتوب عليه، وما دام المرء يستحضر هذه الرقابة على أقواله ويطلب السلامة ، عندئذ يكون اقل كلاما إلا في الخير، والصمت يكون اقرب إليه من فضول الكلام .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م : (٥٤٧).

(٢) سورة الفرقان، من الآية :٧٢

(٣) ٨ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م : (١٩/ ٣١٥)

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي :(ص ٥٨٧)

(٥) سورة ق ، الآية : ١٨

قال القرطبي في تفسير الآية: (أي ما يتكلم بشيء إلا كتب عليه ، مأخوذ من لفظ الطعام وهو إخراجه من الفم ... قال أبو الجوزاء ومجاهد : يكتب على الإنسان كل شيء حتى الأنين في مرضه) [١]

وقال ابن كثير: (ما يلفظ أي: ابن آدم مِنْ قَوْلٍ أي: ما يتكلم بكلمة إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ أي: إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة) [٢]

المطلب الثاني

الصمت وما يدل عليه في السنة النبوية

وردت أحاديث كثيرة تدل على الصمت أو ما يقوم مقامه من معان تتعلق به ، وهي بمجملها تدل على أهمية الصمت الحسن، ومن تلك الأحاديث :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)). [٣]

فقد قرَن النبي محمد (ﷺ) فضيلة لزوم الصمت الا قول الخير قرنها بالإيمان بالله .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م : (١٧/ ١١)

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ،(المتوفى: ٧٧٤هـ) ،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م : (٧/ ٣٩٨).

(٣) الجامع الصحيح المختصر = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ،ط٣ ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، كتاب الأدب، باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم: ٥٦٧٢ : (٥/٢٢٤٠) ، وأخرجه مسلم في المسند الصحيح = صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، كتاب الايمان ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ ، برقم (٤٧) : (١/٦٧) ، واللفظ لمسلم

قال ابن عبد البر: (وفي هذا الحديث آداب وسنن منها: التأكيد في لزوم الصمت وقول الخير أفضل من الصمت لأن قول الخير غنيمة والسكوت سلامة والغنيمة أفضل من السلامة) [١]

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ،... الحديث)) [٢]

وهذا الحديث معناه بنحو معنى الحديث الأول.

٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : ((مَنْ صَمَتَ نَجَا)). [٣]

قَوْلُهُ (مَنْ صَمَتَ) أَيْ سَكَتَ عَنِ الشَّرِّ (نَجَا) أَيْ فَازَ وَظَفِرَ بِكُلِّ خَيْرٍ أَوْ نَجَا مِنْ آفَاتِ الدَّارَيْنِ . [٤]

٤- عن نافع عن عبد الله رضي الله عنه قال: إن النبي (ﷺ) قال: ((من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت))[٥]

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ،تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، لسنة ١٣٨٧ هـ: (٢١/ ٣٥)

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء، برقم (١٤٨٦): (٢/ ١٠٩١)

(٣) رواه احمد في مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة ، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م : برقم (٦٤٨١) : (٦/٣٦-٣٧) ، ورواه الترمذي في الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، برقم (٢٥٠١):(٤/٦٦٠)قال الشيخ الألباني: صحيح

(٤) ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت : (٧/ ١٧٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الشهادات ،باب كيف يستحلف، برقم (٢٥٤٤): (٢/ ٩٥١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله ، برقم (١٦٤٦) :(٣/١٢٦٧) ، واللفظ للبخاري .

أشار النبي محمد (ﷺ) في الحديث إلى أن الحلف بغير الله مخالفة شرعية ، ومن أراد أن يحلف، إما أن يحلف وفق الضوابط التي دعا إليها الشرع وهو الحلف بالله ، وإما أن يصمت عن الحلف مطلقا وفي ذلك سلامته.

قال عبد الله البسام:(أن من أراد الحلف بغير اللَه فليلزم الصمت، فإنه أسلم له) [١]

٥- في حديث طويل عن عبادة بن الصامت ، ذكر فيه أن معاذ بن جبل يسال رسول الله (ﷺ) عن أعمال الخير ، ومما ورد فيه: ((قَالَ: فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى فِيهِ قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» قَالَ: وَهَلْ نُؤَاخَذُ بِمَا تَكَلَّمَتْ بِهِ أَلْسِنَتُنَا؟ قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَخِذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ – أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ – وَهَلْ يُكَبَّ النَّاسِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا))[٢]

ووردت أحاديث أخرى فيها دلالة الحث على الصمت وترك فضول الكلام ، نذكر بعضها في ثنايا البحث لاحقا .

---

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن البسام ،حققه وخرج أحاديثه: محمد صبحي بن حسن حلاق ، مكتبة الصحابة، الأمارات – مكتبة التابعين، القاهرة ،ط١٠ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م : (ص: ٦٨٥)

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠م ومع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص : برقم (٧٧٧٤) :(٣١٩/٤) ، وقال عنه : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، و[التعليق – من تلخيص الذهبي] ٧٧٧٤ – على شرط البخاري ومسلم

المطلب الثالث

الصمت وما يتعلق به في الآثار وأقوال السلف والعلماء

نذكر نماذج منها :

١- عَنِ الأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ – عليه السلام –: (إِنْ كَانَ الْكَلاَمُ مِنْ فِضَّةٍ فَالصَّمْتُ مِنْ ذَهَبٍ).[١]

٢- سُئل عيسى– عليه السّلام–: دلّنا على عمل ندخل به الجنّة. قال: (لا تنطقوا أبدا ، قالوا: لا نستطيع ذلك، فقال: فلا تنطقوا إلّا بخير) [٢]

٣- قال لقمان لابنه: (يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك) [٣]

٤- عن علي رضي الله عنه قال: (بكثرة الصمت تكون الهيبة) [٤] .

٥- (عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تعلّموا الصّمت كما تعلّمون الكلام، فإن الصمت حلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلّم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب، ولا مشّاء إلى غير أرب) [٥].

---

(١) الصمت وآداب اللسان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ،المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)،تحقيق: أبو إسحاق الحويني ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط١ ، ١٤١٠هـ : (٤٧). ، وينظر : إحياء علوم الدين،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة – بيروت : (٣/ ١١٠)

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي: (٣/ ١١٠) .

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى :٥٨٣ هـ)،: مؤسسة الأعلمي، بيروت ،ط١ ، ١٤١٢ هـ : (١٣٦/٢).

(٤) التذكرة الحمدونية ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) ، دار صادر، بيروت ،ط١ ، ١٤١٧ هـ : (٣٦٠/١). وربيع الأبرار، للزمخشري : (٢/ ١٣٦).

(٥) مكارم الأخلاق ومعاليها ، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري ، دار الآفاق العربية، القاهرة ،ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م : (١٣٦).

٦- وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ، إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ، وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الصَّمْتِ ، وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثًا وَإِنْ طَالَ حَتَّى يُمْسِكَ) [١]

٧- (وقال الحسن رحمه الله: إملاء الخير خير من الصمت، والصمت خير من إملاء الشر) [٢].

المطلب الرابع

المفاضلة بين الصمت والكلام

المعيار الأساس في المفاضلة بين الكلام والصمت من جهة العموم هو قوله (ﷺ) فيما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ،....)) [٣]

فالمفاضلة بين الكلام والصمت تكون على ماهية الكلام المنطوق من جهة الخير أو الشر، فإن كان خيرا ، فالنطق به أفضل من الصمت ، وان كان شرا فالصمت عنه أفضل.

قال الإمام النووي :(وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي ألَّا يتكلم إلا إذا كان الكلامُ خيرًا، وهو الذي ظهرت مصلحتُه، ومتى شكَّ في ظهور المصلحة فلا يتكلم) [٤]

وقَالَ الإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ في قوله (ﷺ): فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ (أُمِرَ بِقَوْلِ الْخَيْرِ وَبِالصَّمْتِ عَمَّا عَدَاهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ كَلَامٌ يَسْتَوِي قَوْلُهُ، وَالصَّمْتُ عَنْهُ، بَلْ إِمَّا انْ يَكُونَ خَيْرًا، فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِقَوْلِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ خَيْرٍ، فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِالصَّمْتِ عَنْهُ) [٥]

([١]) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ)،تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية،ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م :(١/ ٥١٩)

([٢]) البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ،١٤٢٣ هـ : (٢/ ٧٨).

([٣]) سبق تخريجه ص ٩

([٤]) رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ،ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م : (٤٢٧)

([٥]) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ،تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م : (١/٣٣٥- ٣٣٦)

وعند البحث في أقوال العلماء المتعلقة بالمفاضلة بين الصمت والكلام ، نجد بعضهم يفضل الصمت على الكلام ، ومنهم من يفضل الكلام على الصمت ، وعند التحقيق نجد أن من يفضل الكلام إنما يريد به ما كان منه خيرا ، ومن يفضل الصمت إنما يريد به الصمت عن كلام السوء وفضول الكلام، وأما الكلام المباح الذي يستوي قوله وتركه ، ولا يظهر منه خيرا ولا شرا فالصمت فيه اسلم إذا شك انه قد يجره إلى شر، وإلا فهو مباح.

ومن الآثار والأقوال التي ورد فيها تفضيل الكلام على الصمت، ويراد به الكلام في الخير:

ما روي عن علي بن طالب –رضي الله عنه انه قال: (لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل) [١] .

وقال ابن عبد البر: (الكلام بالخير من ذكر الله وتلاوة القرآن وأعمال البرّ أفضل من الصّمت وكذلك القول بالحقّ كلّه والإصلاح بين النّاس وما كان مثله... ممّا يبيّن لك أنّ الكلام بالخير والذّكر أفضل من الصّمت أنّ فضائل الذّكر الثّابتة في الأحاديث عن النّبيّ (ﷺ) لا يستحقّها الصّامت)[٢]

وقال ابن تيمية: (فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت عن الشر خير من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها) [٣] .

وقَالَ الإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ : (تَذَاكَرُوا عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الصَّمْتُ أَوِ النُّطْقُ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: الصَّمْتُ أَفْضَلُ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ: النُّطْقُ أَفْضَلُ، لِأَنَّ فَضْلَ الصَّمْتِ لَا يَعْدُو صَاحِبَهُ، وَالْمَنْطِقُ الْحَسَنُ يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ.) [٤]

ومن الأقوال التي ورد فيها تفضيل الصمت على الكلام، ويراد به الصمت عن كل مذموم:

([١]) ذكره الرازي في تفسيره،(مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٣ - ١٤٢٠ هـ : (٢/ ٤٠١)، والنيسابوري في (غرائب القرآن): (١/ ٢٢٧).

([٢]) التمهيد ، لابن عبد البر: (٢٢/ ٢٠-٢١) ، وذكر نحوه في كتابه جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٥٥٠)

([٣]) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي ا (المتوفى: ٧٢٨هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان، دمشق ،١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م : (٦١).

([٤]) جامع العلوم والحكم :(١/ ٣٤١)

قال القاسمي: (ومن مدح الصمت، فاعتباراً بمن يسيء في الكلام، فيقع منه جنايات عظيمة في أمور الدين والدنيا. فإذا ما اعتبرا بأنفسهما، فمحال أن يقال في الصمت فضل، فضلا أن يخاير بينه وبين النطق)[١]

قَالَ الإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ (وَكَانَ السَّلَفُ كَثِيرًا يَمْدَحُونَ الصَّمْتَ عَنِ الشَّرِّ، وَعَمَّا لَا يُعْنِي لِشِدَّتِهِ عَلَى النَّفْسِ، وَذَلِكَ يَقَعُ فِيهِ النَّاسُ كَثِيرًا، فَكَانُوا يُعَالِجُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُجَاهِدُونَهَا عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا لَا يَعْنِيهِمْ)[٢]

قال النووي: (قال فأمّا إيثار أصحاب المجاهدة السّكوت فلما علموا ما في الكلام من الآفات ثمّ ما فيه من حظّ النّفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميّز من بين أشكاله بحسن النّطق وغير هذا من الآفات) [٣] .

واما اذا تساوى في الكلام القول والصمت ، ولم يتعلق به خيرٌ ولا شرٌ، فالأفضل الإمساك عن الكلام والصمت عنه؛ لأنه اسلم .

قال الإمام النووي : (اعلم أنه ينبغي لكل مكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلَّا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحة، فالسُّنَّة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرُّ الكلامُ المباح إلى حرام أو مَكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء) [٤]

ويقول الإمام الغزالي عند كلامه عن قوله تعالى:{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عتيد}[٥]

---

(١) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ،تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، - ١٤١٨ هـ : (٩/ ١٠٠).

(٢) جامع العلوم والحكم : (١/ ٣٤١)

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط٢ ، ١٣٩٢هـ : (٢/ ١٩ - ٢٠).

(٤الأذكار ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ،تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م : (٣٣٢)

(٥) سورة ق ، الآية :١٨

(ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام، قسم هو ضرر محض ،وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة، أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر ، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران ،فلا يبقى إلا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطراً) [١]

وبناء على ما سبق ، فان معيار المفاضلة بين الصمت والكلام يعتمد على حال الكلام وتعلقه بالخير أو بالشر ، وهو على أحوال ثلاثة:

أولا : الكلام المتعلق بالخير ، الكلام فيه أفضل من الصمت وجوبا او ندبا .

ثانيا : الكلام المتعلق بالشر ، الصمت عنه تحريما او كراهة .

ثالثا : الكلام المباح الذي لا يتعلق بالخير ولا بالشر فالصمت عنه اسلم ، إذا تطرق إليه احتمال الشر ، على أساس أن الخير لا يتعلق به ، لان أفضلية الكلام على الصمت متعلقة بظهور الخير فيه .

([١]) إحياء علوم الدين: (٣/ ١١١-١١٢)

المبحث الثالث

أقسام الصمت ، وعلاقته بالكتابة ومواقع التواصل الاجتماعي في الانترنت

دلّت النصوص الشرعية من القرآن والسنة النبوية وما يتعلق بهما من فهم السلف والعلماء على أن الصمت قسمان: محمود ومذموم، ، وهذا ما سنتكلم عنه في المطلب الأول والثاني ، بعدها نتكلم عن الصمت وعلاقته بالكتابة ومواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت وبعض صوره المعاصرة في المطلب الثالث:

المطلب الأول

الصمت المحمود

الصمت المحمود ، منه ما يكون واجبا، ومنه ما يكون مندوبا، وصورته : أن تصمت عن كل ما حرم الله ونهى عنه مثل الغيبة والنميمة والبذاءة وغيرها، وكذلك الصمت عن الكلام المباح الذي يؤدي بك إلى الكلام الباطل.

قال ابن عبد البر: (وإنّما الصّمت المحمود الصّمت عن الباطل)[١].

وقال العيني: (الصمت المباح المرغوب فيه ترك الكلام الباطل، وكذا المباح الّذي يجر إلى شيء من ذلك)[٢] .

وعليه : فالصمت عن الباطل واجب ، والصمت عن فضول الكلام المباح وعن اللغو مندوب ومرغوب فيه.

---

(١) التمهيد، لابن عبد البر: (٢٢/ ٢٠).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد ، بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت : (١٦/ ٢٩١)

وأنماط الصمت المحمود كثيرة، نذكر بعضها فيما يأتي:

– الصمت عن اللغو وما لا خير فيه من الكلام:

اذا كان الكلام لا يرجى منه نفع وخير ، فإن تركه أولى وأسلم، لذلك ، قال النبي محمد (ﷺ) : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت))[١]

وصاحب الإيمان الحقيقي لا يليق ان يتصف باللغو والجهل، وينأى بنفسه عنه؛ ، لذا نجده معرضا عن لغو الأقوال مترفعا عنها، قال تعالى في سياق بيانه صفات عباد الرحمن: **{ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}** [٢] ، وقال تعالى: **{ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}**[٣]

– الصمت عن آفات اللسان ، وفحش الكلام وقبيحه وشرّه :

الصمت يكون واجبا وممدوحا إذا كان صمتاً يُبْتَعَد فيه عن آفات اللسان، وعن الكلام المؤدي الى زرع الأحقاد بين الناس؛ لأن الله تعالى يقول: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [٤]

فالآية قاعدة رصينة في غاية الدقة والإتقان، مفادها :إما أن تقول الأحسن والأفضل من نصيحة وتوجيه وعلم وحكمة، وإما أن تصمت ، فالصمت عن الرذائل ممدوح.

وقد تحدث الإمام الغزالي عن آفات اللسان ، وفصّل القول فيها ، ومن الآفات التي ذكرها: كلام المرء فيما لا يعنيه، وفُضُولُ الْكَلَامِ، والْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ، و الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ ، والْخُصُومَةُ ، والتقعر في الكلام بالتشدق ، والْفُحْشُ وَالسَّبُّ وَبَذَاءَةُ اللِّسَانِ، واللَّعْنُ ، والغناء والشعر ، والمزاح ، و السخرية والاستهزاء، إِفْشَاءُ السِّرِّ ، والْوَعْدُ الْكَاذِبُ، والْكَذِبُ فِي الْقَوْلِ وَالْيَمِينِ، والغيبة، والنَّمِيمَةُ ، وكلام ذي اللِّسَانَيْنِ الَّذِي يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ وَيُكَلِّمُ كُلَّ واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق وغيرها . [٥]

---

(١) سبق تخريجه ص٩

(٢) سورة الفرقان ، من الآية:٧٢

(٣)سورة القصص، الاية : ٥٥.

(٤) سورة الاسراء ، من الآية :٥٣

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين :(٣/١١٢-١٦٤)

وإطلاق العنان للسان بهذه الآفات يترتب عليه مفاسد كثيرة، والصمت عنها وإمساك اللسان هو سبيل النجاة والسلامة للفرد والمجتمع

- **ان يصمت المرء عما لا يعنيه من الكلام:**

من الصمت الممدوح ان يصمت المرء عن الكلام فيما لا يعنيه ، يقول الإمام الغزالي (وحد – أي تعريف – الكلام فيما لا يعنيك: أن تتكلم بكلام ولو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال ... فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنّى تسلم من الآفات التي ذكرناها) [١]

ويتعلق هذا النوع من الصمت بالأساس على ترك الكلام الذي ليس فيه خير ولا شر ؛لأنه لا يَعْنيه ،فقد يجره الكلام المباح إلى الحرام من حيث يعلم أو لا يعلم، أما إذا ظهر منه شرا فالصمت عنه واجب.

قال الإمام النووي : (وَأَمَّا قَوْلُهُ (ﷺ) مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ... فِيهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ خير ولا شر؛ لأنه مما لا يعنيه، ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يَعْنِيهِ وَلِأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْعَادَةِ وَكَثِيرٌ وَاللَّهُ) [٢]

وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، يَقُولُ: (دَعْ مَا لَسْتَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ وَلَا تَنْطِقْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، وَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ نَفَقَتَكَ) [٣]

وينبغي أن يُسائل المرء نفسه قبل أن يتحدث إلى الآخرين. هل هناك ما يستدعى الكلام؟ فإن وجد داعيا إليه تكلم، وإلا فالصمت أولى به. وإعراضه عن الكلام حيث لا ضرورة له عبادة جزيلة الآجر

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١١٣)

(٢) شرح النووي على مسلم : (١٢/ ٣١)

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار = مصنف ابن ابي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٢٣٥هـ) ، تحقيق:كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ: (٧/ ١٢٨)، والصمت، لأبن ابي الدنيا: (٥٧)

– الصمت عن جواب السفيه، وعدم مجاراته في سفهه:

الصمت عن جواب السفيه يغلق أبواب الشر، ومن الحكمة اتقاء الشر، وإخماد الشرر قبل أن يشتعل ويستفحل بالصمت والسكوت، امتثالا لقول تعالى: { وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [١]

وقوله تعالى: { وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} [٢]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله، في هذه المعاني:

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إن الجـــواب لبـاب الشر مفتاح
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضا لصون العرض إصلاح
أما ترى الأسد تُخشى وهي صامتـــــــــة ... والكلـب يُخسى لعمري وهو نبّـــاح[٣]

المطلب الثاني

الصمت المذموم

إذا كان الصمت في بعض أحواله من المأمورات الشرعية والممدوحات ، فإنه يكون في أحوال أخرى يعدّ من المنهيات عنه والمذمومات، والصمت المذموم: منه ما يكون حراما، ومنه ما يكون مكروها، قال العيني: (والصمت الْمنْهِي عَنهُ ترك الْكَلَام عَن الْحق لمن يستطيعه، وَكَذَا الْمُبَاح الَّذِي يَسْتَوِي طرفاه)[٤]

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٥٣.

(٣) ديوان الشافعي، جمعة محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م : (١٧٨)

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري،: (١٦/ ٢٩١)

وأنماط الصمت المذموم كثيرة نذكر بعضها فيما يأتي:

– الصمت عن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر :

الصمت يكون مذموما إذا كان في موطن يُتطلب فيه الكلام ، مثل الكلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصمت عن نشر الخير، وكتم العلم.

فالشرائع السماوية والأديان الإلهية ، ومنها الدين الإسلامي جاءت لتقرر السعادة في الحياة بإتباع كل ما هو خير ومعروف، واجتناب كل ما هو شر ومنكر، ولغرض تحقيق ذلك لابد من طرف يُذّكر بفعل الخيرات ويبيّنها، وينهى عن المنكرات.

لذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعد أعظم فرائض الدين؛ قال تعالى : { **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} [١]

وورد عن النبي محمد (ﷺ) انه قال : ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[٢] .

وورد عن حذيفة عن اليمان، عنه (ﷺ) أنه قال: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)) [٣]

وقد حذر الله تعالى من الصمت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركه ، وبيّن أن ذلك يستوجب الذم واللعن؛ كما حصل في أمم سابقة.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان...، برقم (٤٩) : (٦٩/١)

(٣) سنن الترمذي – شاكر + ألباني :(٤/ ٤٦٨) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن ، وقال الألباني : حسن

قال تعالى: { **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** } [١]

قال الباجي: (وأمّا الصّمت عن الخير وذكر الله عزّ وجلّ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فليس بمأمور به بل هو منهيّ عنه نهي تحريم، أو نهي كراهة) [٢]

وعليه : فان الصمت عن معروف يَلْزم الأمر به أو عن منكر يجب النهي عنه والساكت في مثل هذا الموضع مع القدرة على الإنكار والتغيير ، يعد صمتْه صمتا مذموما منهيا عنه يأثم صاحبه .

–كتم العلم، والصمت عن البيان في معرض الحاجة إليه:

الأساس في بعثة الأنبياء والرسل عيهم الصلاة والسلام ، بيان الحق من الباطل لأقوامهم وإرشادهم إلى طريق الهدى؛ قال تعالى: { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**} [٣]

وقال تعالى مخاطبا نبيه محمد (ﷺ):{**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**} [٤]

والعلماء ورثة الأنبياء ، ومن علم شيئا من هذا الدين ينبغي عليه التبليغ والبيان ، قال النبي محمد (ﷺ): ((بلغوا عني ولو آية)) [٥]

---

(١) سورة المائدة ،الايتان:٧٨-٧٩.

(٢) المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر ،ط١ ، ١٣٣٢ هـ : (٧/ ٢٤٢).

(٣) سورة إبراهيم، من الآية : ٤

(٤) سورة النحل، من الآية :٤٤

(٥) صحيح البخاري ، من حديث عبد الله بن عمرو ، في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، برقم (٣٢٧٤) : ١٢٧٥/٣ ، وهو طرف من حديث ((بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدهُ من النار))

فيتوجب على أصحاب العلم أن يبينوا للناس ما علموا من الخير، ولا يمنعوه عنهم ، وألّا يؤثروا الصمت على البيان طمعا في عرض دنيوي من جاه وحظوة عند سلطان، أو حذرا من فوات مكسب شخصي، أو خوفا من لومة لائم.

ويكون الصمت في هكذا مواضع خيانة للأمانة ونقض للعهد ، ويكون شأنه كشأن من ذكر الله من أهل الكتاب الذين كتموا العلم واشتروا به ثمنا قليلا؛ تعالى: { **وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** } [١]

وهذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد (ﷺ)، وأن يُنوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وُعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفة صفتهم، وبئست البيعة بيعتهم؛ وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم [٢]

– الصمت عن الشهادة الواجبة، وقول الحق:

المقاصد الشرعية من (الشهادة) تتعلق بإحقاق الحق والسعي إلى نصرته، وإبطال الباطل والسعي إلى نقضه، وردّ الحق وما يتعلق به إلى أهله، وإيقاف الباطل وما يتعلق به عند حده؛ وبذلك تُحفظ مصالح الخلق.

من أجل ذلك نهي الإسلام عن شهادة الزور والبهتان والكذب ، ودعا إلى أداء شهادة الحق والإنصاف؛ وبين أثم شهادة الزور، وإثم كاتم شهادة الحق، وانه يكون من أظلم الناس ، قال الله تعالى: {**وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** } [٣]

---

(١) سورة آل عمران، الآية :١٨٧

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (١٨٠-١٨١)

(٣) سورة البقرة ، الآية :٢٨٣

ومعنى قوله تعالى{وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ} أي:لا تخفوها وتغلوها ولا تظهروها، قال ابن عباس وغيرُه: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتمانها كذلك. [١]

وقال الله تعالى: { **وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ** } [٢]

قال ابن كثير: (أضافها إلى الله تشريفا وتعظيما لأمرها... أي إن فعلنا شيئا من ذلك: من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمها بالكلية) [٣] .

والصمت يكون منهيا عنه اذا كان صمتا عن قول الحق، قال العيني (والصمت المنهي عنه ترك الكلام عن الحق لمن يستطيعه) [٤] والشهادة نوع من أنواع الكلام عن الحق.

وقال ابن تيمية:(والصّمت عمّا يجب من الكلام حرام سواء اتّخذه دينًا أو لم يتّخذه) [٥]

وعليه : فالصمت عن الشهادة الواجبة وقول الحق صمت مذموم؛ وكل من آثر الصمت على شهادة الحق، وعلى حساب إقامة العدل، فإنه واقع في الإثم المبين والظلم العظيم.

([١]) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (١/ ٧٢٨) .

([٢]) سورة المائدة، من الآية :١٠٦

([٣]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (٣/ ٢١٧-٢١٨)

([٤]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (١٦/ ٢٩١).

([٥]) مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م : (٢٥/ ٢٩٤)

-الصمت الدائم :

وهذا النوع من الصمت لا تقرّه الشريعة الإسلامية ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:((بينا النبي (ﷺ) يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم . فقال النبي (ﷺ) (مُرْه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه)) [١]

وهناك من يزعم ان هذا النوع من الصمت عبادة يثاب عليها، وهذا الأمر غير صحيح، وهو من أعمال الجاهلية التي لا يقرها الدين الإسلامي.

فعن قيس بن أبي حازم قال: (دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، على امرأة من أحمس [٢] يقال لها: زينب فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مصمتة، فقال لها: تكلمي! فإن هذا لا يحل، هذا عمل الجاهلية، فتكلمت ... الحديث) [٣]

فأخبر أبو بكر الصديق : أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصدا بذلك عيب هذا العمل وذمّه. [٤]

ويقول ابن رجب الحنبلي :(وَبِكُلِّ حَالٍ، فَالْتِزَامُ الصَّمْتِ مُطْلَقًا، وَاعْتِقَادُهُ قُرْبَةً إِمَّا مُطْلَقًا، أَوْ فِي بَعْضِ الْعِبَادَاتِ، كَالْحَجِّ وَالِاعْتِكَافِ وَالصِّيَامِ، مَنْهِيٌّ عَنْهُ) [٥]

وقال ابن تيمية : (فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها... فذلك من البدع المذمومة أيضا، كما ثبت في صحيح البخاري) [٦]

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الايمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٦/ ٢٤٦٥)

(٢) وأحمس: قبيلة من بجيلة. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ،اشراف: محب الدين الخطيب ،- بيروت، ١٣٧٩هـ : (٧ / ١٥٠) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، برقم (٣٦٢٢) : (١٣٩٣/٣) .

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ،أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن ابن تيمية الحراني الحنبلي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ،اتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل
الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ،ط٧ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م : (١/ ٣٧١)

(٥) جامع العلوم والحكم : (١/ ٣٤٣)

(٦) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : (٦١)

هذه بعض من صور الصمت المذموم ، والتي لا تتفق مع التعاليم الإسلامية.

وبناء على ما سبق: الصمت يكون محمودا او مذموما وفق الحالة التي تلازمه، فلا الصمت محمود على الإطلاق ، ولا مذموم على الإطلاق . وعن هذه الصورة المتقابلة يقول ابن القيم :

(وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى، آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثما من الأخرى في وقتها؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مُراء مداهن لم يخَف على نفسه؛ والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط –وهم أهل الصراط المستقيم– كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة؛ فضلا أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به) [1]

وينبغي الإشارة في نهاية الكلام عن أقسام الصمت ، أننا عندما نطلق لفظ الصمت من دون تقييد إنما نريد به الصمت المحمود وما حسُن منه ، مثال ذلك ما سنذكره من ضوابط الصمت وفوائده لاحقا في هذا البحث.

المطلب الثالث

الصمت وعلاقته بالكتابة ، ومواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت

أولا: الصمت وعلاقته بالكتابة:

الصمت يرتبط بالكلام مدحا أو ذما ، وهناك ما ينوب عن الكلام في الدلالة والتعبير ، وهي الكتابة والخط ، ومثلما يجري على الكلام ميزان الحسنات والسيئات فكذلك الكتابة والرسم يجري عليهما ما يجري على الكلام والصمت، من الأحكام والضوابط وكل ما يتعلق بذلك، فالكتابة احد الأعمال التي يقوم بها

([1]) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت : (١١٢-١١٣)

الإنسان ويحاسب عليها ، قال تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)(١)

والقلم احد اللسانين: الأول لسان النطق، والثاني لسان الكتابة ، قال الجاحظ في معرض كلامه عن الخط: (ولذلك قالوا القلم احد اللسانين ... وقالوا القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا) (٢)

وفي بعض الحالات يكون التعبير بالكتابة أوقع أثرا، وأكثر انتشارا زمانا ومكانا.

فان(اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن، والكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره)(٣)

وبيّن الغزالي أن الإثم يلحق الكتابة كما يلحق الكلام ، وأنها احد اللسانين في معرض كلامه عن إثم آفة الغيبة فقال: (وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين، وذِكْر المصنف شخصاً معيناً، وتَهْجِين كلامه في الكتاب غيبة، إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحْوجة إلى ذكره) (٤)

وعليه: فان ما يسري على التعبير بالكلام أو الصمت من أحكام مدحا او ذما، فانه يسري أيضا على التعبير بالكتابة والرسم مدحا أو ذما ، فما يستحسن فيه الصمت عن النطق ، يستحسن فيه الصمت عن الكتابة وكذلك ما يذم، وعندما نسند الصمت إلى الكتابة إنما هو من قبيل المجاز ، وإلا فعبارة الصمت عن الكتابة يقابلها في اللفظ ترك الكتابة.

والكتابة تشمل التأليف والرسائل ونحوها، وهي موجودة منذ بدايات الدعوة الإسلامية، ولكنها لم تكن بهذا الانتشار الواسع في الذي نشهده في وقتنا المعاصر؛ بسبب ندرة أدوات الكتابة وبدائيتها ومشقة الحصول عليها .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان :(٧-٨)

(٢) البيان والتبيين:(١/ ٨٥)

(٣) المصدر نفسه.

(٤) إحياء علوم الدين: (٣/ ١٤٥)

وفي وقتنا المعاصر انتشر التعبير وإيصال المعاني عن طريق الكتابة على نحو كبير وبأساليب متنوعة، عن طريق تأليف الكتب وطباعتها بنسخ كثيرة، والصحافة، والرسائل الورقية، ونحو ذلك، وفي الوقت القريب المعاصر حصلت ثورة في تبادل الحديث عن طريق الكتابة باستعمال الشبكة العالمية (الانترنت)

ثانيا: التواصل الاجتماعي عن طريق الانترنت وعلاقته بالصمت:

مع ظهور تقنية الانترنت ظهرت معه برامج التواصل الاجتماعي(١) ، وهي كثيرة ومنتشرة على الشبكة ويوجد لها مستخدمين كُثر، وتكاد تنافس الكلام اللفظي بين أفراد المجتمع، ومن ثَم يكون علاقة مواقع التواصل الاجتماعي بموضوع البحث – الصمت – ويكون تعلقها به في هذا الزمن أكثر مما سبق .

فمع انتشار الحديث بين الأفراد عن طريق الكتابة الالكترونية ظهرت معه الايجابيات والسلبيات، ومن السلبيات الذنوب التي تتعلق بآفات اللسان، فهي تتعلق بالكتابة مثلما تتعلق بالنطق، فالصمت عن فضول الكتابة وما لا خير فيه، له الحكم نفسه المتعلق بالصمت عن الكلام.

ومن ذلك أيضا التواصل عن طريق التسجيلات الصوتية والمرئية ونشرها على الانترنت أو القنوات الفضائية أو الاذاعات.

ونُقل عن د. إبراهيم الزهراني– أستاذ الفقه المساعد بكلية الملك فهد الأمنية – في احدى الصحف قوله : (أن مَنْ يتابع مواقع التواصل الاجتماعي لا يخفى عليه انتشار ظاهرة انتهاك أعراض الناس وحرماتهم بالكلام السيئ، واللفظ القبيح، وبنشر ما يُقال عنهم، وتداوله، وقال: إذا كان المغتاب آثماً، فإن إثمه يعظم ويكبر بقدر انتشار غيبته بين الناس، ولاشك في أن وسائل التواصل الحديثة واسعة الانتشار، وما يُكتب فيها

---

(١) مواقع التواصل الاجتماعي: عبارة عن تطبيقات الكترونية قائمة على نظم الجيل الثانى للويب لتحقيق التواصل والتفاعل بين مختلف الأفراد المنتشرين حول العالم بالمراسلات المكتوبة والمسموعة والمرئية مع تحقيق الاتصال الفورى والمرجأ بما يحقق أكبر فائدة لتجميع الشعوب فى موقع للتواصل من بعد، ومنها الفيسبوك وتويتر والواتساب والفايبر واليوتيوب وغيرها. ينظر: (مفهوم التواصل الاجتماعي) مقال للدكتور محمد جابر خلف الله– أستاذ تكنولوجيا التعليم المساعد بكلية التربية جامعة الأزهر، منشور على موقعه الرسمي بالانترنت ، رابط المقال : http://kenanaonline.com/users/azhar-gaper/posts/512902

يبلغ الآفاق وبالتالي فإن الذي يتكلم في أخيه المسلم بكلام سيء ثم ينشره في هذه الوسائل يؤذي أخاه كثيرا، ويؤلمه، ويلحقه بسببه النقص، ويتضرر منه) (١)

من جانبه أشار د.فايز الشهري –كاتب وباحث في الإعلام الجديد– إلى هذا الموضوع بقوله: (ومما لا شك فيه أن الأثر السلبي والتدمير المعنوي المترتب على الغيبة الإلكترونية ربما يكون أعظم واكبر أثرا من الغيبة التي تحصل في المجالس العادية التي ورد النهي النبوي عنها؛ والسبب في ذلك أن الغيبة الالكترونية يطلع عليها عدد الأكبر من الناس وتنتشر على نحو جماهيري سريع، والأسوأ من كل هذا أن مواد الغيبة الالكترونية، تبقى موثقة ومحفوظة في شبكات الإنترنت ومواقعها عبر الزمن وتظل سلبياتها تلاحق الشخص وربما أسرته وأبناؤه حتى بعد وفاته) (٢)

وفي عالم الانترنت وشبكات التواصل المعاصرة تكون حرية التعبير أكثر من حرية الكلام العادي، فلا توجد قيود اجتماعية أو رسمية سوى قيد الرقابة الإلهية، إذ يمكن الكتابة والتعبير بدون معرفة صاحبها، او تكون بأسماء مستعارة ،وأخذ الحريّة الكاملة في عالم التواصل في الإنترنت ووجودها من دون ضوابط ولا رقابة، لا يعني ذلك أن الفرد غير مسؤول أمام الله : قال تعالى:{**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**}(٣)

فلا فرق بين حرمة الغيبة والنّميمة لفظا وبين كتابتها على الانترنت وغيره ، فالنهي عن اللّغو والثّرثرة والإسراف في اللفظ والكلام البذيء والفاحش يكون في أيّ موقع حصلت فيه دلالة التعبير، كما لا فرق في فضل الصمت الحسن في القول، وبين الصمت الحسن في الكتابة بالامتناع عن الكتابة الا في خير.

---

(١) صحيفة الرياض اليومية – الصادرة من مؤسسة اليمامة الصحفية ، مقال : نورة العطوي ، بعنوان («الغيبة الإلكترونية».. كل شي موثّق) ، الخميس ،٦/جمادي الاخرة /١٤٣٦هـ – ٢٦/مارس/٢٠١٥م ، العدد:١٧٠٧٦

(٢) المقال السابق

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٣٦

لهذا فإنّ المسؤولية كبيرة على عاتق الّذين يكتبون ويتفاعلون وينشرون ، عليهم الحذر كلّ الحذر، من كلمات تُكْتب ، تنطلق بكبسة إعجاب او طباعة رسالة ، في غير مرضاة الله ، لتصبح حملاً ثقيلاً ووزراً كبيرا يجده حاضراً في كتاب أعماله، يوم ينادي المنادي: { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ}(١)

وارى ان الإساءة في كتابة منشور أو تعليق ما ، أعظم إثما من الإساءة في كلام مباشر مع الناس من وجوه عدة:

أولا: الإساءة المباشرة مع الآخرين خارج مواقع التواصل الاجتماعي قد تكون أمام مرأى ومسمع أناس معينين، وفي بقعة مكانية محددة، أما الإساءة في مواقع التواصل، يقرأها كثير من الناس ويشاركون في نشرها ، وفي كل مكان من العالم .

ثانيا: طول المدة الزمنية للإساءة في منشور او تعليق ما ؛ لأنها تبقى مخزونة على شبكة الانترنت ، وهي متجددة أيضا؛ لأنها تتجدد كلما علّق على المنشور أو أُعجب به شخص ما.

ولنتأمل في قوله (ﷺ) :(وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)(٢) وعلى هذا الأساس نقول من كان يؤمن بالله فليكتب خيرا أو ليتوقف عن الكتابة

المبحث الرابع

ضوابط الصمت وفوائده

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

ضوابط الصمت وآدابه

الدين الإسلامي يوصى بالصمت الحسن، ويعدّه وسيلة ناجحة من وسائل التربية المهذبة ، واللسان حبل مرخى فى يد الشيطان يُصرف صاحبه كيف شاء، فإذا لم يملك الإنسان أمره ويضبط لسانه من جهة الكلام او الصمت كان فمه مدخلا للآثام والمعاصي ، وللصمت ضوابط وآداب، دعا إليها الدين الإسلامي، منها :

---

(١) سورة الصّافّات، الآية: ٢٤.

(٢) سبق تخريجه ص٩

١- **إخلاص النية** : وجود النية والإخلاص فيها لله، تعد من الشروط الأساس لقبول الإعمال، وشرطا لمن أراد ان يتحلي بالفضائل ويتخلي عن الرذائل، ومن تلك الإعمال الفاضلة التحلي بالصمت الحسن، فلا بد من وجود النية والإخلاص فيها.

والإخلاص: (أَنْ يَفْعَلَ الْمُكَلَّفُ الطَّاعَةَ خَالِصًا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا يُرِيدُ بِهَا تَعْظِيمًا مِنْ النَّاسِ وَلَا تَوْقِيرًا، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ دِينِيٍّ، وَلَا دَفْعَ ضَرَرٍ دُنْيَوِيٍّ) [١] قال الله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء} [٢]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على المنبر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ... الحديث) [٣] فقبول العمل أو ردّه في الإسلام متعلق بنيّه صاحبه ، فان كانت خالصة لله قبلت وإلا فلا.

وقال بشر بْن الْحَارِث: (إِذَا أعجبك الْكَلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم) [٤] اي لا يكون الصمت والكلام تبعا لهوى النفس والرياء والعُجب.

وعليه: فإن من ضوابط التحلي بفضيلة الصمت الحسن ، أن يكون الأمر خالصا لله، وان يتجنب الرياء أو طلب السمعة أو التوقير ونحو ذلك.

([١]) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (المتوفى: ٦٦٠هـ) ،راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد
الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م : (١/ ١٤٦)

([٢]) سورة البينة ، من الآية :٥

([٣]) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ) برقم (١) : (١/ ٣) ورواه في مواضع اخرى ، وصحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب: قَوْلِهِ (ﷺ) «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ».... ، برقم(١٩٠٧) :(١٥١٥/٣) ، واللفظ للبخاري

([٤])الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)،تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة : (١/ ٢٤٧)

٢- **ضبط الصمت بميزان الإحكام الشرعية:** لا يمكن ان يكون الصمت تبعا لهوى النفس، وإنما يجب أن تراعى فيه الإحكام الشرعية المتعلقة به ، فقد يكون الصمت حراما او مكروها، وقد يكون واجبا او مندوبا، وقد يكون مباحا ، وقد سبق وان تكلمنا عن أقسام الصمت واشرنا إلى بعض الأحكام المتعلقة بذلك.

وعن ضبط فضيلة الصمت بميزان الشرع يقول النووي : (وَأَمَّا قَوْلُهُ (ﷺ) فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَإِنْ كَانَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ خَيْرًا مُحَقَّقًا يُثَابُ عَلَيْهِ وَاجِبًا اومندوبا فَلْيَتَكَلَّمْ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ يُثَابُ عَلَيْهِ، فَلْيُمْسِكْ عَنِ الْكَلَامِ، سَوَاءٌ ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ أَوْ مُبَاحٌ مُسْتَوِي الطَّرَفَيْنِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ مَأْمُورًا بِتَرْكِهِ مَنْدُوبًا إِلَى الْإِمْسَاكِ عَنْهُ؛ مَخَافَةَ مِنِ انْجِرَارِهِ إِلَى الْمُحَرَّمِ أَوِ الْمَكْرُوهِ وَهَذَا يَقَعُ فِي الْعَادَةِ كَثِيرًا أَوْ غَالِبًا) [١]

وقال القشيري: (الصمت سلامة وَهُوَ الأصل وعليه ندامة إذ ورد عَنْهُ الزجر، فالواجب أَن يعتبر فِيهِ الشرع والأمر والنهى) [٢]

٣- **يجب ان يكون الصمت في وقته زمانا ومكانا:** من ضوابط الصمت أن يعرف المرء متى يصمت وأين، ومتى يتكلم وأين ، وهذا حال العقلاء والحكماء.

قال النووي : (وَرُوِّينَا عَنِ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ الصَّمْتُ بِسَلَامَةٍ وَهُوَ الْأَصْلُ، وَالسُّكُوتُ فِي وَقْتِهِ صِفَةُ الرِّجَالِ كَمَا أَنَّ النُّطْقَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ أَشْرَفِ الْخِصَالِ) [٣]

وقد تحدث بعض علماء المسلمين عن أهمية هذا الأمر ، قال أَبُو حاتم محمد بن حبان: (الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم، ولا يعترض عليهم فيه، لأن الكلام وإن كان في وقته حظوة

---

(١) شرح النووي على مسلم: (٢/ ١٩)

(٢) الرسالة القشيرية: (١/٢٤٥)

(٣) شرح النووي على مسلم: (٢/ ١٩-٢٠)

جليلة، فإن الصمت في وقته مرتبة عالية)[١] وقال أيضا: (الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق وأقل من يندم إذا سكت) [٢]

٤- ان يقتصر الكلام والصمت على قدر حاجته :

من اراد التحلي بفضيلة الصمت الحسن عليه ان يقتصر في كلامه او صمته على قدر حاجته وفق مقتضى الحال ، والا خرج عن دائرة الفضيلة وجره ذلك الامر الى الرذيلة، قال الماوردي: (فَإِنَّ الْكَلَامَ إنْ لَمْ يَنْحَصِرْ بِالْحَاجَةِ، وَلَمْ يُقَدَّرْ بِالْكِفَايَةِ، لَمْ يَكُنْ لِحَدِّهِ غَايَةٌ، وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَايَةٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ الْكَلَامِ مَحْصُورًا كَانَ حَصْرًا إنْ قَصُرَ وَهَذْرًا إنْ كَثُرَ... وَلِمُخَالَفَةِ قَدْرِ الْحَاجَةِ مِنْ الْكَلَامِ حَالَتَانِ: تَقْصِيرٌ يَكُونُ حَصْرًا، وَتَكْثِيرٌ يَكُونُ هَذْرًا، وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ ، وَشَيْنُ الْهَذَرِ أَشْنَعُ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْغَالِبِ أَخْوَفَ) [٣]

ونُقل (أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى رَجُلًا يُكْثِرُ الْكَلَامَ وَيُقِلُّ السُّكُوتَ فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى إنَّمَا خَلَقَ لَك أُذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ... وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ، وَتَرْجُمَانُ عَقْلِهِ، فَاقْصُرْهُ عَلَى الْجَمِيلِ وَاقْتَصِرْ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ، وَإِيَّاكَ مَا يُسْخِطُ سُلْطَانَك، وَيُوحِشُ إخْوَانَك)[٤]

وفي هذا المعنى قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ:(فَاقْتَصِرْ مِنْ الْكَلَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَك، وَيُبَلِّغُ حَاجَتَك، وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ فَإِنَّهُ يُزِلُّ الْقَدَمَ، وَيُورِثُ النَّدَمَ) [٥]

([١]) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ،محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت : (٤٢)

([٢]) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : (٤٣)

([٣]) أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ،دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م : (٢٧٧-٢٧٨)

([٤]) المصدر نفسه (٢٧٨)

([٥]) أدب الدنيا والدين (٢٨٠)

٥- **الاعتدال في الصمت وعدم الغلو فيه، وان لا يؤذي أهله ومن معه وحوله بطول الصمت :**

على المرء ان لا يغلو في صمته لدرجة تصرفه عن تواصله مع إخوانه وأهله ومن هو بعهدته ممن يلتقِ بهم فيؤذيهم بصمته ويسيء إليهم ، وذلك لا يقل ضررا عن إيذائهم بالكلام ، قال ابن الجوزي : (ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم، وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه، وينسى قول النبي (ﷺ) ((إن لأهلك عليك حقا)) [١] ، وقد كان رسول الله (ﷺ) يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة، فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالآيم وولده كاليتيم، لانفراده عنهم وقبح أخلاقه؛ لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة، ولا يدري لقلّة علمه أن الانبساط إلى الأهل، من العون على الآخرة) [٢]

([١]) طرف من حديث رواه البخاري في صحيحه ، من حديث ابي جحيفة عن ابيه ، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ....، برقم (١٨٦٧) : (٢/٦٩٤)

([٢]) تلبيس إبليس ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م : (١٤٠)

المطلب الثاني

فوائد الصمت وآثاره

للصمت الحسن وترك فضول الكلام فوائد كثيرة وآثار كريمة، يستفيد منها الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ، ومن الفوائد التي تترتب على فضيلة الصمت إجمالا، ما نقلها السمرقندي:(قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: فِي الصَّمْتِ سَبَعَةُ آلَافِ خَيْرٍ، وَقَدِ اجْتَمَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي سَبْعِ كَلِمَاتٍ، فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا أَلْفٌ، أَوَّلُهَا: أَنَّ الصَّمْتَ عِبَادَةٌ مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ، وَالثَّانِي: زِينَةٌ مِنْ غَيْرِ حُلِيٍّ، وَالثَّالِثُ: هَيْبَةٌ مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ، وَالرَّابِعُ: حِصْنٌ مِنْ غَيْرِ حَائِطٍ ، وَالْخَامِسُ: الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الِاعْتِذَارِ إِلَى أَحَدٍ ، وَالسَّادِسُ: رَاحَةُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ ، وَالسَّابِعُ: سَتْرًا لِعُيُوبِهِ.) [1]

وعلى وجه التفصيل نذكر بعض فوائد الصمت الحسن ، وهي :

١- الصمت مفتاح للعبادة ، وعمل يتحصّل فيه الثواب :

إذا تحلى المرء بالصمت المحمود ، واجتنب المذموم منه يناله الثواب ، فهو عبادة يترتب عليها الأجر والثواب.

والصمت الحسن يعد من الوسائل التي تعين المرء على العبادة والتفرغ إليها، وعدم الانشغال عنها بفضول الأفعال والأقوال ، فهي مفتاح باب العبادة وطريق الوصول إليها ، فقد ورد عن سفيان عَنْ انه قَالَ:(كَانَ يُقَالُ: طُولُ الصَّمْتِ مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ) [2]

٢- السلامة من الذنوب، والوقاية منها، وتجنب الفتنة:

إذا التزم المرء بحسن الصمت ، سلم من الوقوع في بعض الذنوب والمعاصي وآفات اللسان، التي قد تلحقه فيما لو اغفل هذه الفضيلة ، فالصمت الحسن تترتب عليه السلامة .

([1]) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) ، تحقيق وتعليق: يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، ط٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م : (٢١٧)

([2]) الصمت لابن أبي الدنيا: (٢٢٢)

فعَنِ الْحَسَن أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَالَ:((رَحِمَ اللهُ عَبْداً قَالَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ)). (١)

وفي حديث آخر عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَالَ:((قُولُوا خَيْراً تَغْنَمُوا، وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا)). (٢)

والسلامة تكون من الذنوب والمعاصي وتكون من المشاكل التي قد تترتب على الكلام غير المنضبط ونحوه ،قال الغزالي:(فإن قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه، فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان... ففي الخوض- أي في افات اللسان – خطر، وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته) (٣)

وفي الصمت الحسن تَجْنب للفتنة وانتظار للرحمة ، قال يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ: (إِنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَيَنْتَظِرُ الْفِتْنَةَ وَإِنَّ الْمُنْصِتَ لَيَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ)(٤)

وفيه وقاية من كل سوء، قَالَ: أَبَو الدَّيَّالِ: (تَعَلَّمِ الصَّمْتَ كَمَا تَتَعَلَّمُ الْكَلَامَ فَإِنْ يَكُنِ الْكَلَامُ يَهْدِيكَ فَإِنَّ الصَّمْتَ يَقِيكَ) (٥)

٣- الفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة :

الصمت وترك اللغو وفضول الكلام والإعراض عنه سبب من أسباب الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} (٦)

---

(١) مسند الشهاب،محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) ،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٢، ١٤٠٧ – ١٩٨٦م : (٣٣٨/١) ، وقال عنه الالباني : حسن ، في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي : ٥٨١

(٢) سبق تخريجه ص١٠

(٣) إحياء علوم الدين: (٣/ ١١١)

(٤) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٥٤٩)

(٥) المصدر نفسه :(١/ ٥٥٠)

(٦) سورة المؤمنون ، الآيات : ١-٣

والفلاح المذكور في الآية: بمعنى الفوز والنجاح ، قال البقاعي : ({أفلح} أي فاز وظفر الآن بكل ما يريد، ونال البقاء الدائم في الخير) [١]

ومن جملة الأشياء التي تستلزم فوز المؤمنين: الإعراض عن اللغو وترك فضول الكلام والصمت عنه، ومعنى اللغو في الآية: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْو } وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، {مُعْرِضُونَ} رغبة عنه، وتنزيها لأنفسهم، وترفعا عنه، وإذا مروا باللغو مروا كراما، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه -إلا في الخير- كان مالكا لأمره [٢] .

وأشار النبي محمد (ﷺ) إلى أن من يضمن لسانه من السوء وفحش الكلام ويصمت عنه، فانه يضمن له الجنة ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)) [٣]

والحديث يشير الى حفظ اللسان والفَرْج ، قال ابن حجر:(قَوْلُهُ لَحْيَيْهِ بِفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ وَالتَّثْنِيَةِ هُمَا العظمان فِي جَانِبَيِ الْفَمِ وَالْمُرَادُ بِمَا بَيْنَهُمَا اللِّسَانُ وَمَا يَتَأَتَّى بِهِ النُّطْقُ، وَبِمَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ الْفَرْجُ) [٤]

٤- الصمت يثمر محبة الناس لصاحبه ، ويجنبه الاعتذار، ويُسْعَده:

من فوائد الصمت الحسن انه يجلب لصاحبه محبة الناس ، ويجعله يعيش بينهم محبوبا مطمئنا ، لسلامتهم منه بلسانه وأفعاله . فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) [٥]

مَعْنَاهُ: مَنْ لَمْ يُؤْذِ مُسْلِمًا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ [٦] ومن كان هذا خلقه يكن محبوبا بين الناس.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة : (١٣/ ١٠٥)

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٥٤٧).

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، برقم (٦١٠٩) : (٢٣٧٦/٥)

(٤) فتح الباري لابن حجر: (١١/ ٣٠٩)

(٥) صحيح البخاري ،كتاب الايمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، برقم (١٠) :(١٣/١) وصحيح مسلم ،كتاب الايمان ، بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، برقم (٤٠) : (١/ ٦٥) واللفظ لمسلم.

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم: (٢/ ١٠)

وقد ورد في الأثر عن عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انه قال: (الصَّمْتُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْمَحَبَّةِ)[١]

كما ان الصمت يكفي صاحبه مؤنة الاعتذار الذي كثيرا ما تكون مقرونة بالخطأ والإساءة التي تترتب أحيانا على فضول الكلام واللغو، ولذ كان النبي محمد (ﷺ) يوصي بعدم الخوض بكلام يستلزم الاعتذار ، لان من أسباب الاعتذار ما ساء من الكلام تجاه الآخرين، والصمت عنه يكفي مؤنة الاعتذار ،قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: (الْزَمْ الصَّمْتَ فَإِنَّهُ يُكْسِبُك صَفْوَ الْمَحَبَّةِ، وَيُؤْمِنُك سُوءَ الْمَغَبَّةِ، وَيُلْبِسُك ثَوْبَ الْوَقَارِ، وَيَكْفِيكَ مَئُونَةَ الِاعْتِذَارِ) [٢]

وقال أَبُو حاتم محمد بن حبان: (والصمت يكسب المحبة والوقار، ومن حفظ لسانه أراح نفسه، والرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عَن الكلام) [٣]

وحسن الصمت يبعث السعادة لصاحبه، قَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: (سَعِدَ مَنْ لِسَانُهُ صَمُوتٌ، وَكَلَامُهُ قُوتٌ) [٤]

٥- يُكْسب صاحبه الهيبة والوقار:

الصمت في مواضعه الحسنة يكسب صاحبه الهيبة والوقار بين الناس ، على أن يكون صمته خالصا لوجهه تعالى ، فعن علي رضي الله عنه قال: (بكثرة الصمت تكون الهيبة) [٥] .

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: (مَنْ أَطَالَ صَمْتَهُ اجْتَلَبَ مِنْ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ، وَمِنْ الْوَحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ.) [٦]

ونُقل عن الأحنف بْن قيس: (الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه) [٧]

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا: (٣٠١)

(٢) أدب الدنيا والدين : (٢٧٥)

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (٤١)

(٤) أدب الدنيا والدين: (٢٧٥)

(٥) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: (١٣٦/٢)، والتذكرة الحمدونية : (٣٦٠/١).

(٦) أدب الدنيا والدين: (٢٧٩)

(٧) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (٤٣)

ولذلك نبّه بعضهم على الحذر من كثرة الكلام لانها تذهب الهيبة والوقار، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ: (كَانَ يُقَالُ: كَثْرَةُ الْكَلَامُ تَذْهَبُ بِالْوَقَارِ) [١]

٦- يستر عيوب صاحبه، وجهله وغبائه:

الصمت أحيانا يستر عيوب صاحبه، منها التي تظهر على كلامه فيما لو استطرد فيه، ومنها الجهل والغباء وغيرهما ، وبالصمت لا تفتضح تلك العيوب.

فمن طريف ما ورد في الجهل والغباء ، ما نقله الماوردي:(حُكِيَ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ أَنَّ شَابًّا كَانَ يُجَالِسُ الْأَحْنَفَ وَيُطِيلُ الصَّمْتَ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْأَحْنَفَ فَخَلَتْ الْحَلْقَةُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ: تَكَلَّمْ يَا ابْنَ أَخِي. فَقَالَ: يَا عَمِّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَقَطَ مِنْ شُرَفِ هَذَا الْمَسْجِدِ هَلْ كَانَ يَضُرُّهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَيْتَنَا تَرَكْنَاك مَسْتُورًا) [٢]

وفي موضع آخر قال : (حُكِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ الْفَقِيهِ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَجْلِسُ إلَيْهِ فَيُطِيلُ الصَّمْتَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ: أَلَا تَسْأَلُ؟ قَالَ: بَلَى. مَتَى يُفْطِرُ الصَّائِمُ؟ قَالَ: إذَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَغْرُبْ إلَى نِصْفِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ أَبُو يُوسُفَ – رَحِمَهُ اللَّهُ – وَتَمَثَّلَ بِبَيْتِيِّ الْخَطَفِيِّ جَدِّ جَرِيرٍ:

عَجِبْتُ لِإِزْرَاءِ الْعَيِيِّ بِنَفْسِـــهِ وَصَمْتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْعِلْمِ أَعْلَمَا

وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْغَبِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَـــةُ لُبِّ الْمَـرْءِ أَنْ يَتَكَلّـَمَا [٣]) [٤]

فمن بقي صامتا في بعض المواطن لا تجنب ظهور عيبه ان كان جاهلا ، واكتسب هيبة ووقارا ان كان عالما، فعن سُفْيَانُ، قَالَ:(كَانَ يُقَالُ: الصَّمْتُ زَيْنُ الْعَالِمِ ، وَسِتْرُ الْجَاهِلِ) [٥]

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (٦٧)

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٧٦)

(٣)) تاريخ بغداد وذيوله ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ،دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،ط١، ١٤١٧ هـ : (١٤/ ٢٥١).

(٤) أدب الدنيا والدين: (٢٧٦)

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) دار السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م : (٧/ ٨٢)

ومما يدلل على ان في الصمت وحفظ اللسان سَتْرٌ للعيوب ، ما نقله النووي بقوله: (بلغنا أن قسَّ بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيتُه ثمانيةُ آلاف عيب، ووجدتُ خصلةً إن استعملتها سترتَ العيوبَ كلَّها، قال : ما هي ؟ قال : حفظ اللسان) [١] والصمت احد أبواب حفظ اللسان

٧- يدعو إلى التأمل وتجميع الأفكار وحسن اتخاذ القرار:

الصمت يمنح الفرد طاقة قوية للتفكير بعمق في كل ما يحصل حوله، والتركيز بعقلانية على الإجابات واتخاذ القرارات ، قال محمد الغزالي: (إن للثرثرة ضجيجا يذهب معه الرشد ، وأكثر الذين يتصدرون المجالس. ويتحدَّر منهم الكلام متتابعا، يجزم مستمعهم بأنهم لا يستمدون حديثهم من وعى يقظ، أو فكر عميق، وربما ظن أن هناك انفصالا بين العقل وهذا الكلام المسترسل، والمرء حين يريد أن يستجمع أفكاره ويراجع أعماله يجنح إلى الصمت، بل إنه حين يريد أن يبصر نفسه ويرتب ذهنه، يفر من البيئة الصاخبة إلى ريف صامت، أو ضاحية هادئة)[٢]

٨- الصمت يثمر الحكمة ورجاحة العقل، ويدل عليهما :

في التزام حسن الصمت يتوّصل المرء إلى الحكمة، ورجاحة العقل ، قال الماوردي : (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْزَمْ الصَّمْتَ تُعَدُّ حَكِيمًا، جَاهِلًا كُنْتَ أَوْ عَالِمًا.) [٣]

والصمت يعد من اوسع أبواب الحكمة ، فعَنْ وُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: الْحِكْمَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ: فَتِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ، وَالْعَاشِرَةُ عُزْلَةُ النَّاسِ. [٤]

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (الصَّمْتُ حِكَمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ) [٥]

---

(١) الأذكار للإمام النووي: (١/ ٤٢٣)

(٢) خلق المسلم ، ، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط١:(٦٨)

(٣) أدب الدنيا والدين: (٢٧٥)

(٤) الصمت لابن أبي الدنيا :(٦٢) ، ونحوه ينظر : إحياء علوم الدين: (٢/ ٢٢٢)

(٥) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٥٥٢)

ورأس الحكمة الصمت ، فعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:(أَجْمَعَتِ الْأَطِبَّاءُ أَنَّ رَأْسَ الطِّبِّ الْحَمْيَةُ، وَأَجْمَعَتِ الْحُكَمَاءُ أَنَّ رَأْسَ الْحِكْمَةِ الصَّمْتُ) [١]

فالصمت يدل على رجاحة عقل صاحبه وحِكْمته، ولو لم يكن في الصمت خصلة تحمد إلا تزين العاقل وتشين الجاهل به، لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت مَا وجد إليه سبيلا . [٢]

ويوصف من يَسْتعمل الصمت في مواجهة السفهاء والجهّال بأنه راجح العقل. فقد نقل (أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ لِعَامِرِ بْنِ مُرَّةَ الزُّهْرِيِّ: مَنْ أَحْمَقُ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ أَعْقَلُ النَّاسِ. قَالَ: صَدَقْت، فَمَنْ أَعْقَلُ النَّاسِ؟ قَالَ مَنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ الصَّمْتَ فِي عُقُوبَةِ الْجُهَّالِ.) [٣]

٩- يعين على طلب العلم ، ويدل على زيادة علم صاحبه :

الصمت يعين على حسن الاستماع والإنصات عند طلب العلم والفهم ، ولذا دعا القران الكريم إلى الإنصات عند الاستماع إلى القران؛ لان ذلك يعين على فهم المعنى والتركيز، قال تعالى: { وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[٤]

قال ابن عبد البر: (وَلَكَ فِي الصَّمْتِ خَصْلَتَانِ: تَأْخُذُ بِهِ عِلْمَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَتَدْفَعُ بِهِ عَنْكَ مَنْ هُوَ أَجْدَلُ مِنْكَ) [٥]

وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَحْسِمُ الرُّخْصَةَ فِي الْكَلَامِ وَيَقُولُ: (إذَا جَالَسْت الْجُهَّالَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ، وَإِذَا جَالَسْت الْعُلَمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ، فَإِنَّ فِي إنْصَاتِك لِلْجُهَّالِ زِيَادَةً فِي الْحِلْمِ، وَفِي إنْصَاتِك لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةً فِي الْعِلْمِ.) [٦]

وقلّه الكلام وطول الصمت يدل على فقه صاحبه وعلمه ، قال أبو الدَّرداء: (من فقه الرَّجل قلَّة كلامه فيما لا يعنيه.) [٧]

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا: (ص: ٢٧٨)

(٢) ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (٤٦- ٤٧)

(٣) أدب الدنيا والدين: (ص: ٢٥٤)

(٤) سورة الأعراف ، الآية :٢٠٤

(٥) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٥٥٠)

(٦) أدب الدنيا والدين: (ص: ٢٧٧)

(٧) بهجة المجالس وأنس المجالس: (١٢)

والصمت يعين على الفهم ، فعن (عَبْدِ الْوَهَّابِ السُّكَّرِيَّ، يَقُولُ: الصَّمْتُ يَجْمَعُ لِلرَّجُلِ خَصْلَتَيْنِ: السَّلَامَةَ فِي دِينِهِ، وَالْفَهْمَ عَنْ صَاحِبِهِ) [١]

١٠- **من فوائد الصمت الاخرى:** راحة النفس من المتاعب والهموم والمشاكل، ودليل على حسن الخلق وطهارة النّفس، وبالصمت يسيطر الفرد على من هو أمامه نفسيا ويجعله يتحيّر في فهم شخصيته فيما لو دعت الحاجة إلى ذلك ، وفيه حماية ووقاية، ونجاة وعافية، فمع الصمت لا يكون وقوع في أخطاء تجلب النقمة، ولا يكون خلاف يستوجب اللوم والعتب ، وغير ذلك من الفوائد . [٢]

المبحث الخامس

الآليات المعينة على اكتساب فضيلة الصمت، ونماذج منه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

الآليات المعينة على اكتساب فضيلة الصمت

الآليات والوسائل التي تعين على اكتساب فضيلة الصمت المحمود كثيرة، نذكر منها ما يأتي:

١- **مصاحبة الأخيار، وتجنب مصاحبة الأشرار واعتزالهم** : من يريد التحلّي بالصمت الحسن والتخلّي عن الصمت المذموم، عليه مصاحبة الأخيار ممن يصونون ألسنتهم ويحفظونها من المعاصي، والابتعاد عن الجلوس في المجالس التي يكثر فيها اللغط والفحش والكلام البذيء من الكذب والسب واللعن والغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء ونحوها،قال الله تعالى: { **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ**

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا: (ص: ٦٩) ، ونقل نحوه الغزالي في إحياء علوم الدين: (٣/ ١١١)

(٢) للاستزادة ، يرجع الى : إحياء علوم الدين: (٣/ ١١١) وبعدها. ومنتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، عبد الله بن سعيد الشحاري، (المتوفى: ١٤١٠هـ)، دار المنهاج – جدة،ط٣ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م : (٤١٨) وبعدها.

عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [١]

قال الغزالي:(وأما الصمت فإنه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة، فإن الكلام يشغل القلب، وشَرَهُ القلوب إلى الكلام عظيم، فإنه يستروح إليه، ويَسْتثقل التَجَرُد للذكر والفكر فيستريح إليه، فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى) [٢] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ:(قَالَ بَعْضُهُمْ فِي تَفْسِيرِ الْعُزْلَةِ: هُوَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْقَوْمِ، فَإِنْ خَاضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، فَخُضْ مَعَهُمْ، وَإِنْ خَاضُوا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَاسْكُتْ) [٣]

ومن يطلب فضيلة الصمت المحمود، عليه ان يصاحب أهل العلم، والتقوى، والاستقامة، والفضيلة الذين لا يسمع منهم الكلمات البذيئة، قال تعالى : **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }** [٤]

والكلمات البذيئة لا تسمعها إلا من إنسان غفل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه، قال الله تعالى: **(وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)**[٥]

والمؤمن المستقيم لا يقول إلا خيراً ، لأنه يؤمن أن الكلمات السيئة توردة موارد التهلكة، وفي الصمت عنها نجاته ، فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية :٦٨

(٢) إحياء علوم الدين:(٣/ ٧٦).

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا: (٦٢)

(٤) سورة الكهف ، من الآية:٢٨

(٥) سورة الكهف ، من الآية:٢٨

الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ [١] ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)) ([٢])

٢- **استحضار فوائد الصمت والثمرات المترتبة على الالتزام به، واستحضار مساوئ فضول الكلام** ، والتأمل في العواقب الوخيمة والسيئة التي تترتب على الكلام في الباطل، والذي يحبط الحسنات يوم القيامة، ويثقل الميزان بالسيئات ، واستحضار هذه المعاني يشجع المرء ويقوي عزيمته وهمته على التحلّي بفضيلة الصمت المحمود والتخلّي عن الصمت المذموم .

وهذا الاستحضار والاستشعار يعين المرء في التغلب على شهوة فضول الكلام والصبر على مجاهدتها ، وقد أشرت إلى بعض الفوائد في مطلب سابق من هذا البحث ، يمكن الرجوع إليها ولا داعي لإعادتها . [٣]

٣- **الاشتغال بالطاعات، من العبادة والذكر والعمل بالكسب الحلال، والدعوة ونحو ذلك**، فهذه الإعمال مع ما فيها من خير ، فإنها تملأ الفراغ، وتسد السُبل أمام تلبيس الشيطان للمعاصي وآفات اللسان، وتعوّد المرء ألا يصرف وقته في سواها.

قال الغزالي :(وَعِلَاجُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة ،وأن أَنْفَاسَهُ رَأْسُ مَالِهِ، وَأَنَّ لِسَانَهُ شَبَكَةٌ يَقْدِرُ أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم، وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جداً الْآفَةُ) [٤]

٤- **قراءة نماذج من الصمت الحسن الوارد في هدي النبي محمد (ﷺ) وشمائله وسيرة السلف الصالح والعلماء والاقتداء بهم في صمتهم** ، كما ثبت ذلك في صحيح الأخبار، وهذا ما سنتناوله في المطلب الآتي بعنوان (نماذج من الصمت)

([١]) يحذيك: أي يعطيك ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي في كتاب صحيح مسلم: (٢٠٢٦/٤)

([٢]) صحيح البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ، برقم (٥٢١٤) :(٢١٠٤/٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والاداب، بَابُ اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ ، برقم :(٢٦٢٨) : (٢٠٢٦/٤) ، واللفظ لمسلم

([٣]) يرجع الى الصفحة رقم : ٢٩

([٤]) إحياء علوم الدين: (٣/ ١١٤)

المطلب الثاني

نماذج من الصمت

نشير في هذا المطلب إلى هدي النبي محمد (ﷺ) في الصمت الحسن ، بعدها نذكر نماذج تتحدث عن صمت الصحابة –رضوان الله عليهم – والسلف الصالح والعلماء والحكماء.

أولا : هدي الرسول محمد (ﷺ) في الصمت وقلّة الكلام إلا من حاجة:

من الفضائل التي كان يتحلى بها النبي محمد(ﷺ) انه كان طويل الصمت، قليل الضحك، كثير الذكر، فقد ورد ((عن سماك بن حرب، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي (ﷺ) ؟ قال: نعم كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من أمورهم، فيضحكون، وربما يتبسم)) [١]

فالنبي (ﷺ) كان يكثر من الصمت ولا يتكلم الا عند الحاجة، وكلامه حكمة، وعلامة الحكيم أنه يغلب عليه الصمت، ولا يتكلم إلا كلاماً فصلاً، لا هذراً ولا فضلا، ولا يوجد في كلامه حشو، فقد أوتي جوامع الكلم.

قال النبي محمد (ﷺ) : ((نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ)) [٢]

والمقصود بجوامع الكلم : قال النووي:(قال الهروي : يعني به القرآن الكريم ، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه (ﷺ) كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني) . [٣]

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)،تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة برقم (٧٠٣١) : (١٢٠/٧) ، والبيهقي في سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤م : (٥٢/٧) ، وقال عنه الالباني: (حسن) في صحيح وضعيف الجامع الصغير :(١٠٠/١٩)

(٢) صحيح البخاري،كتاب التعبير ، باب المفاتيح في اليد، برقم (٦٦١١) :(٢٥٧٣/٦) ، وصحيح مسلم ،كتاب المساجد مواضع الصلاة، برقم(٥٢٣) : (٣٧٢/١) ، واللفظ لمسلم.

(٣) شرح مسلم ٥/٥

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:((أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه)) [١] دلالة على قلّة الكلام، وطول الصمت .

ثانيا : نماذج من صمت الصحابة:

- روي إِنَّ عُمَرَ دَخَلَ يَوْمًا على أبي بكر الصِّدّيق رَضِي الله عَنْهُم وَهُوَ يَجْبِذُ لِسَانَهُ. فَقَالَ عُمَرُ: مَهْ [٢] غَفَرَ الله لَك. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ) [٣]
- (عن خالد بن سمير، قال: كان عمّار بن ياسر طويل الصّمت، طويل الحزن والكآبة، وكان عامّة كلامه عائذًا بالله من فتنته)[٤] .
- عن سعيد بن جبير قال :(رأيت ابن عباس أخذ بلسانه وهو يقول يا لسان قل خيرا تغنم أو اصمت تسلم قبل أن تندم) [٥]
- (دُخِلَ عَلَى أَبِي دُجَانَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ فَقِيلَ لَهُ: مَا لِوَجْهِكَ يَتَهَلَّلُ؟ فَقَالَ: مَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٌ أَوْثَقُ عِنْدِي مِنَ اثْنَتَيْنِ. أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَكُنْتُ لا أَتَكَلَّمُ فِيمَا لا يَعْنِينِي،وَأَمَّا الأُخْرَى فَكَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيمًا) [٦]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب صفة النبي (ﷺ) برقم(٣٣٧٤) :(١٣٠٧/٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، برقم (٢٤٩٣) : (٢٢٩٨/٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) (يَجْبِذُ) : أَيْ: يَجْذِبُ (لِسَانَهُ) ، وَيَمُدُّهُ وَيَجُرُّهُ، (فَقَالَ عُمَرُ: مَهْ) : بِفَتْحِ مِيمٍ وَسُكُونِ هَاءٍ اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى اكْفُفْ وَامْتَنِعْ عَنْ ذَلِكَ . ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) ، دار الفكر، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م : (٣٠٥٤/٧)

(٣) الصمت ،لابن أبي الدنيا : (٥٠) ومشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣، ١٩٨٥م : (٦٣٦٥/٣) ، وقال الالباني عنه: (صحيح)

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (١/ ١٤٢).

(٥) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، تحقيق : د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م: (٩٥٢/٢) ، و، ونحوه رواه أبو نعيم حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :(١/ ٣٢٧)

(٦) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ،المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م : (٣/ ٤٢٠)

ثالثا : نماذج من صمت العلماء والفقهاء والحكماء :

- (قال عمرو بن قيس الملائيّ: مرّ رجل بلقمان والنّاس عنده، فقال له: ألست عبد بني فلان؟ قال بلى، قال: الّذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى، فقال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وطول السّكوت عمّا لا يعنيني) [١] .
- (كان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم فقال: أسكت فأسلم وأسمع فأعلم؛ إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره) [٢] .
- (وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة) [٣]
- (قال بعضهم: رأيت مالكًا صامتًا لا يتكلم، ولا يلتفت يمينًا ولا شمالًا، إلَّا أن يكلمه إنسان فيسمع منه، ثم يجيبه بشيء يسير، فقيل له في ذلك، فقال: وهل يَكُبُّ الناسَ في جهنم إلَّا هذا؟ وأشار إلى لسانه)[٤] .
- (عَنْ شَيْخٍ، مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: قِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ: إِنَّكَ تُطِيلُ الصَّمْتَ؟ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ لِسَانِيَ سَبُعًا عَقُورًا، أَخَافُ أَنْ أُخَلِّيَ عَنْهُ فَيَعْقِرُنِي) [٥]

- قال إسماعيل بن أميّة:(كان عطاء: يطيل الصّمت، فإذا تكلّم يخيّل إلينا أنّه يؤيّد)[٦]

---

(١) جامع العلوم والحكم :(٢٩٣).

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ) ،تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت : (٣/ ١٤).

(٣) إحياء علوم الدين: (١/ ٢٨)

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) ، مجموعة محققين، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب : (٢/ ٥٢).

(٥) الصمت لابن أبي الدنيا: (٢٩٩)

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٣/ ٣١٣).

الخاتـمة

الحمد لله الذي بنعمته تَتُم الصالحات ، أَحْمَده سبحانه وأشكره على تيسيره لي وتوفيقه على إتمام هذا العمل، واسأله الإخلاص والهداية والقَبول، والصلاة والسلام على نبيه، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فبعد أن انتهيت بفضل الله من هذا البحث، اذكر الخلاصة وأبرز النتائج التي توصّلت إليها وهي :

- ورد في القران الكريم والسنة النبوية والآثار الواردة عن السلف والعلماء نصوص تتعلق بالصمت الحسن أو ما يقوم مقامه من معان ، وهي بمجملها تدل على أهمية فضيلة الصمت.
- عند البحث في أقوال العلماء المتعلقة بالمفاضلة بين الصمت والكلام ، نجد بعضهم يفضل الصمت على الكلام ، ومنهم من يفضل الكلام على الصمت ، وعند التحقيق: نجد أن من يفضل الكلام إنما يريد به ما كان منه خيرا ، ومن يفضل الصمت إنما يريد به الصمت عن كلام السوء وفضول الكلام، وأما الكلام المباح الذي يستوي قوله وتركه ، ولا يظهر منه خيرا ولا شرا فالصمت فيه اسلم إذا شك انه قد يجره إلى شر ، وإلا فهو مباح.
- الصمت قسمان: محمود ومذموم، والصّمت المحمود: منه ما يكون واجبا كالصّمت عن الباطل ، ومنه ما يكون مندوبا كترك الكلام المباح الذي قد يجر إلى باطل، والصمت المذموم: منه ما يكون حراما ومنهيا عنه مثل ترك الْكَلَام عَن الْحق لمن يستطيعه،ويكون مكروها كالصمت عن الكلام الْمُبَاح الَّذِي يَسْتَوِي طرفاه ولا يجر إلى باطل.

- الصمت يرتبط بالكتابة مدحا أو ذما ، فهي مما تنوب عن الكلام في الدلالة والتعبير ، ومثلما يجري على الكلام ميزان الحسنات والسيئات فكذلك الكتابة يجري عليها ما يجري على الكلام والصمت من الأحكام .

- مع انتشار الحديث بين الأفراد عن طريق الكتابة الالكترونية ظهرت معه الايجابيات والسلبيات، والإساءة في كتابة منشور أو تعليق ما ، أعظم إثما من الإساءة في كلام مباشر مع الناس، وكذلك نشر الكلام عن طريق التسجيل الصوتي او المرئي ونشره في الانترنت أو القنوات الفضائية أو الإذاعات ونحوها

- للصمت ضوابط شرعية وآداب دعا إليها الدين الإسلامي، ومن يريد أن يتحلى بهذه الفضيلة لا بد له أن يلتزم بتلك الضوابط ، وان لا يكون صمته او كلامه تبعا لهوى النفس.
- للصمت الحسن وترك فضول الكلام فوائد كثيرة وآثار كريمة، يستفيد منها الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

- طول الصمت الا من خير، يعد من الشمائل التي يتحلى بها نبينا محمد (ﷺ) و الفضائل التي كان يتصف بها كثير من الصحابة –رضوان الله عليهم– والعلماء الصالحين ، وهي فضيلة من فضائل الأخلاق الإسلامية.

وختاما :أسال الله عز وجل أن يتقبّل منّي هذا العمل، وأن يَجْعله خالصا لوجهه الكريم، وان ينفعني بما علّمني ، وان يُعلّمني ما ينفعني، واستغفر الله تعالى عن كل زلل أو تقصير في هذا البحث وفي غيره ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..... وصلّ اللهم وسلّم على سيدنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القران الكريم:

١. أحكام القرآن،أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ،تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

٢. إحياء علوم الدين،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة – بيروت

٣. أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ،دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م

٤. الأذكار ،أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ،تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ،أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن ابن تيمية الحراني الحنبلي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ،تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ،ط٧ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٦. البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن الكناني ، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)،دار ومكتبة الهلال، بيروت ،١٤٢٣ هـ .

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ،مجموعة من المحققين، دار الهداية : ١٢٢/٥.

٨. تاريخ بغداد وذيوله ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ،دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،ط١، ١٤١٧ هـ .

٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٠. التذكرة الحمدونية ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) ، دار صادر، بيروت ،ط١ ، ١٤١٧ هـ .

١١. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) ، مجموعة محققين، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب

١٢. التعريفات ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،ط١، (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) .

١٣. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ،(المتوفى: ٧٧٤هـ) ،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

١٤. تلبيس إبليس ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

١٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ،تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، لناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، لسنة ١٣٨٧ هـ.

١٦. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) ، تحقيق وتعليق: يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، ط٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٧. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، المنسوب الى عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ) ،جمعه: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ،دار الكتب العلمية – لبنان

١٨. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، تحقيق : د. محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق، ط١،(١٤١٠هـ)

١٩. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن البسام ،حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي بن حسن حلاق ، مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة ،ط١٠ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

٢١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٢. الجامع الصحيح المختصر = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ،ط٣ ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م .

٢٣. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .

٢٤. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ،تحقيقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٢٥. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ)،تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية،ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

٢٦. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

٢٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) دار السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٢٩. خلق المسلم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط١.

٣٠. ديوان الشافعي، جمعة محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

٣١. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى :٥٨٣ هـ)،: مؤسسة الأعلمي، بيروت ،ط١ ، ١٤١٢ هـ .

٣٢. الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)،تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة .

٣٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ،محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٤. رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ،ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

٣٥. سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤م

٣٦. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

٣٧. الصمت وآداب اللسان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ،المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)،تحقيق: أبو إسحاق الحويني ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط١ ، ١٤١٠هـ .

٣٨. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ،المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٣٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد ، بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)،تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت،ط١، (١٤١٦ هـ) .

٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ،اشراف: محب الدين الخطيب ،- بيروت، ١٣٧٩هـ .

٤٢. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي ا (المتوفى: ٧٢٨هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان، دمشق ،١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٤٣. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، تحقيق : د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م.

٤٤. قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (المتوفى: ٦٦٠هـ) ،راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م .

٤٥. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.).

٤٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن بن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط٣ (١٤١٤ هـ

٤٧. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٤٨. محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ،تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، - ١٤١٨ هـ .

٤٩. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) ، دار الفكر، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

٥٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان ،ط١،(١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٥١. المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠م ومع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص .

٥٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر،دار الحديث – القاهرة ، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٥٣. مسند الشهاب،محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) ،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٢، ١٤٠٧ – ١٩٨٦م

٥٤. المسند الصحيح = صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٥٥. مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣، ١٩٨٥م .
٥٦. المصنف في الأحاديث والآثار = مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٢٣٥هـ)،تحقيق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ .
٥٧. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)،تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة .
٥٨. المعجم الوسيط، تاليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مراجعة :إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة .
٥٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٣ – ١٤٢٠ هـ .
٦٠. المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ،المتوفى: ٥٠٢هـ)،تحقيق: صفوان عدنان ،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،ط١،(١٤١٢ هـ).
٦١. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ،(١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .
٦٢. مكارم الأخلاق ومعاليها ، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري ، دار الآفاق العربية، القاهرة ،ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .
٦٣. المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر ،ط١ ، ١٣٣٢ هـ .
٦٤. منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، عبد الله بن سعيد الشحاري، (المتوفى: ١٤١٠هـ)، دار المنهاج – جدة،ط٣ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .
٦٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط٢ ، ١٣٩٢هـ .
٦٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
٦٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ) ،تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت.